الحرب خُدعة

تردّدت هذه المَقولة عبر التاريخ، وقرأنا كثيرًا عن خدع وأساليب تمويه مُختلِفة، إلّا أنّ هناك مَن قام بخدعة هي الأذكى والأغرب في تاريخ الحروب الحديثة، وربّما على مرّ التاريخ، ومن المُثير أنّ الخدعة كانت هنا على أرض مصر.

نَشبت الحرب العالمية الثانية عام ١٩٣٩، وشَهدت جنون القائد الألماني "أدولف هتلر" وطموحه في السيطرة على العالم.

كانت مصر -بصفتها تحت حماية التاج البريطاني- أحد ساحات القِتال في الحرب العالمية الثانية، ومازال هناك أكثر من ٢٠ مليون لَغم على أرض مصر -ولهذا قصة أخرى-.

في تلك الحقبة كان من ضمن قوّات الجيش البريطاني أحد أشهَر السّحَرة في بريطانيا «جاسبر ماسكيليان»، تطوّع «ماسكيليان» في الجيش البريطانيّ مؤمِنًا تمامًا أنّه حتمًا سيُقدّم خدمات جليلة لبريطانيا باستخدام مهاراته في العُروض السّحرية؛ قام «ماسكيليان» بتشكيل فِرقة خاصة من الحُوَاة والسّحرة

وبعض الحِرفيين تحت اسم ''القوة أ'' -هذه غير قصة نبيل فاروق في سلسلة رجُل المُستحيل-.

كان قادة الجيش يُطلِقون على هذه الفِرقة ''عصابة السّحَرة'' -ربّما كانوا على حقٍ في وَصفهم بالعصابة-.

خَدم «ماسكيليان» في صحراء حُلوان والعباسية حتى انتقل إلى الإسكندرية.

تأكّدت القوّات البريطانية -عن طريق مُخابرتها- أنّ القوّات الألمانية تَنوي قَصف ميناء الإسكندرية، والذي يُرابِض أمامه الأسطول الإنجليزي؛ اجتَمع قادة الجيش لوَضع خطة لإنقاذ الأسطول وميناء الإسكندرية، لمْ يكُن أمامهم سوى خيارٍ واحدٍ أمام جنود هتلر.. الفرار.

ربّما يَنجحون في إجلاء القوّات وتحريك الأسطول، ماذا عن الميناء؟ هل يستطيع الفرار هو الآخر؟!

قال أحدهم في يأسٍ:

- الأمر يَحتاج إلى ساحرٍ.

التقَط أحدهم الجملة، ووضعها موضِع التنفيذ؛ تمّ استدعاء «جاسبر ماسكيليان» وعصابته، وتكليفه بوَضع فكرةٍ لإنقاذ مدينة الإسكندرية.

لمْ يُخيّب «ماسكيليان» ظن قادة الجيش البريطاني، وأخبَرهم بفكرته المُجنونة التي تُعدّ مِثالًا للتفكير خارج الصندوق:

- سندَع الألمان يدمّرون الإسكندرية.

قالها «ماسكيليان» وسط دهشة واستنكار قادة الجيش، ثمّ شرَح خطته المدهِشة، وتمّ تكليفه بتنفيذها فورًا.

قام «ماسكيليان» ببناء نموذجٍ بالحجم الطبيعي لميناء الإسكندرية على بُعد حوالي كيلو ونصف من الميناء الحقيقيّ عِند بُحيرة "مريوط"، استخدَم كلّ مهاراته في صُنع النموذج من رقائق الخشب والقماش بمساعدة الرسّامين والنجّارين في فِرقته.

لمْ يكُن هذا النموذج ليَخدع الطائرات الألمانية في التمييز بينه وبين الميناء الحقيقيّ، وللمرّة الثانية يُثبِت "ماسكيليان" ذكاءه وعبقريته؛ فقدْ اقترَح فكرةً مجنونة أخرى اعتمادًا على ارتفاع طائرات الألمان، وكذلك حتميّة الهجوم الليلي في الحُروب.

قبل هجوم الطائرات الألمانية بدقائق -بِناءً على معلومات استطلاعية مُؤَكّدة- تمّ قطع الكهرباء عن مدينة الإسكندرية الحقيقية تمامًا؛ وبالتالي أصبحت غير موجودة إطلاقًا بالنسبة للطائرات الألمانيّة مع إنارة النموذج الخداعيّ بنفْس طريقة إضاءة المدينة الأصلية.

نجحت خُدعته، وضَربت الطائرات الألمانية النموذج الخداعيّ

ولمدّة ثمانية أيامٍ مُتواصِلة، بل واحتفلوا بتدمير ميناء الإسكندرية وجُزء من الأسطول البريطانيّ.

كانت هذه الواقعة أوائل عام ١٩٤٥، ومن حُسن حظ الإنجليز -وحُسن حظ مدينة الإسكندرية بالطبع- هزيمة هتلر، وانتهاء الحرب العالميّة الثانية قبل اكتشاف هذه الخُدعة.